

مركز دراسات الجنوب الليبي للبحوث والتنمية

تحليل سياسي

للمواقف الدولية اتجاه جنوب ليبيا *** إضاءات واستنتاجات



(عملية برخان و التماس مع الجنوب الليبي)

تتحدث مصادر عدة أن بؤادر عملية عسكرية فرنسية في الجنوب الليبي تتبدى يوماً بعد يوم، سيما أن هذه المنطقة التي تعتبر «مفترق طرق لعدد مهم من الجماعات الإرهابية المسلحة»، بحسب الخبير الاستراتيجي الفرنسي ميشال غلاي و هي تشهد قلاقل عديدة في الفترة الأخيرة وفق نفس المصدر .

تأتي هذه القراءة التحليلية رغم مرور أيام قليلة على استبعاد **الرئيس الفرنسي**، فرانسوا هولاند، فكرة القيام بتدخل عسكري في ليبيا في مقابلة مع محطة إذاعية فرنسية، أي قبيل الهجوم الأخير على صحيفة (شارلي إيبدو).

يرى المتابعون أن عملية شارلي إيبدو تمثل **خاتمة استكمال تأليب الرأي العام و تشجيعه على مساندة التدخل الفرنسي في الخارج** و هو ما تجلي في نتائج استطلاع الرأي الذي نشرته صحيفة (لوموند) الواسعة الإنتشار.

كل هذا يبقى تحليلات قد تفندها وقائع منها أن فرنسا لن تكون قادرة لوحدها على دفع تكلفة مثل هذا التدخل (سواء ماديا او سياسيا) فهي تعيش ازمة اقتصادية خانقة كما أن تدخلا بمثل هذا الحجم في منطقة بشاعة الجنوب الليبي يستعدي موافقة أمريكية .

غير أن اللافت للاهتمام هو تشجيع بعض الأصوات المتطرفة للتدخل بحجة (حرب استباقية) ضد بوكو حرام و الشباب المجاهدين في أقصى الشمال المالي و النيجري و المتواجدين حسب بعض التقارير في مدن الجنوب الليبي.

هاتان الدولتان اللتان يصف البعض قواتهما العسكرية بمنفذي السياسة الفرنسية و هو ما تجلي في تدخل القوات التشادية في الكامرون بعلة محاربة التطرف كل ذلك يتم بموافقة و بمباركة بعض زعمائها و قادة جيوشها .

و بناء عليه فإن عملية (برخان) التي أطلقتها فرنسا العام الماضي ضد ما وصفتها **بالجماعات المسلحة** في منطقة الساحل و جنوب الصحراء الكبرى، قرب الجنوب الليبي، ستواجه تحديا كبيرا سيما إذا ما اعتبرنا أن عملية محتملة بهذا

الحجم ستكون الأكبر من نوعها منذ انطلاق العملية برمتها في شهر أغسطس عام 2014 .

و رغم أن المنجز من **عملية برخان** وفق لمصادر فرنسية وإلي حد الساعة تمثل في السيطرة على المنطقة الشمالية من النيجر و التشاد قرب الجنوب الليبي، **و هو دون الأهداف التي تم التخطيط لها والواردة في موقع وزارة الدفاع الفرنسية** و الذي تم بدعم من قبل **المجمع التكتيكي (جي تي دي إيست)** التابع لقوة برخان والقوات التشادية والنيجيرية التي تتلقى الأوامر من **قاعدة ماداما** بالنيجر.

ورغم أن فرقة **(دلاو 3)** العسكرية الفرنسية شاركت في دعم القوات المالية **(بمنطقة أنسونغو)**، شمال البلاد، بالتنسيق مع القوات النيجيرية.

ورغم أن قوات **(برخان)** واصلت عملية التمشيط إلى حدود **مناطق (بوريم المسترات)** شمال مالي بتاريخ 30/10/2014 تمكنت خلالها من العثور على كمية كبيرة من مخازن السلاح والذخيرة والمتفجرات لكنها فقدت أثر المتطرفين .

وأثناء ذلك تشكلت في ديسمبر 2014 خلية تنسيق **(CCL سي سي إل)** بين دول بحيرة تشاد **(النيجر - الكاميرون - نيجيريا - تشاد)** بمبادرة ورعاية فرنسية ، كلفت بمهمة دحر جماعة بوكو حرام النيجيرية والجماعات المسلحة المتحالفة معها انطلاقا من مقر العمليات **بأنجمينا** وتعمل تحت إمرة القوات الفرنسية.

كل هذه التحركات الميدانية الحثيثة قد تمهد لتدخل عسكري فرنسي- دولي في ليبيا، حيث تنشط العديد من الجماعات المسلحة و فق عدد من المتابعين .

لكن و كما يعلم المتابعون للشأن في جنوب ليبيا لا يمكن أن تتم كل هذه الأمور بمعزل عن المكونات الاجتماعية المختلفة بإمكانية التدخل من عدمها مرتبهة بتسهيلات داخلية تتمثل خاصة في حالة التشرذم و التقاتل التي تشهدها مناطق من الجنوب والتي يظهر أن أهل الجنوب من الليبيين شرعوا في تجاوزها و عياً منهم بأهمية المرحلة و بعثية الصراع .

فقد أعلن قبل مدة مشايخ قبائل الطوارق في ليبيا التي تخوض قتال قبلي ضد قبائل التبو في الجنوب الليبي وقفا لإطلاق النار و مساندتهم للحوار الليبي و مطالبتهم بأن يتم عقد الحوار الليبي داخل الأراضي الليبية و دعمهم الكامل له.

أمر لم يعتبره ملاحظون آخرون ضماناً كافية لأنه بعض المصادر تتحدث عن قرار غربي – فرنسي باجتياح الجنوب الليبي تم إقراره سلفاً و لم يعد يفصلنا عليه إلا أشهر ثلاث وفق تسريبات دبلوماسية ، هذا القرار **(قرار التدخل في ليبيا و خاصة في جنوبها) طبخته فرنسا** بمشاركة و مباركة **رئيس النيجر محمدو يوسفو** الذي نقل عنه **وزير الدفاع الفرنسي** إقراره أن **" اللحظة قد حانت لنطمئن المجتمع الدولي أن جهودا ستبدل لحل المسألة الليبية"**

يجدر التنكير أن رئيس النيجر كان قد جاهر بالدعوة إلى تدخل دولي في ليبيا قبل فترة و هو ما يتقاطع ما اعتبره عدد من الملاحظين أجندا استعمارية جديدة تتجاوز ما تتصوره مجموعة دعم فرنسا في عملياتها فقد **صرح وزير الدفاع الفرنسي** أن العمليات التي تقوم بها بلاده **"تهدف إلى توفير الأمن في المنطقة انطلاقاً من القرن الأفريقي إلى حدود غينيا بيساو"** عن طريق محاربة الجماعات المتطرفة.

ما يعتبره البعض قلبا للحقائق فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية و فرنسا (التي يتحدث وزير دفاعها عن وجوب مكافحة الإرهاب) و دول أوروبية أخرى لمدة عقود بتدعيم مجموعات شبه عسكرية متطرفة ، و هو ما يراه الخبراء بأنه يدخل في باب مصالح اقتصادية و تجارية للنخب الفرنسية و الأوروبية و الأمريكية التي تحتاج تجارتها حروبا تدر عليها أرباحا و تواصل من خلالها مزيد إحكام السيطرة على مفاصل الاقتصاد سيما أن الجنوب الليبي يعتبر بوابة لدول الجوار تتنافس و تتغذى به شعوب شمال تشاد والنيجر و حتى مالي .

بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه هذه المجموعات في قلب أنظمة حكم و تصعييدات أخرى ، يرى متابعون لشأن الجنوب أن هذه القوات المزعومة يتم استعمالها شماعة يتم عبرها "التجارة بالربح" ، ففي أكثر شعوب العالم رفاهية ثمة ينابيع للخوف تسري في مفاصل المجتمع و تترعرع فيه و تتحول في أوقات بعينها إلى "هستيريا جماعية" ، إنه شعور غريزي جُبل عليه الإنسان لكن مع تطور وسائل الإعلام و التكنولوجيا الحديثة لم يبق الأمر كذلك و تحول الخوف من شعور لا واعي يساور الإنسان في لحظات ضعفه و قوته إلى شعور متحكم فيه تصنعه قوى متباينة في المجتمع من بينها الدولة ، الراعي الأول للخوف كما كان يقول فرانسيس فوكوياما وهو بالضبط ما تقدم عليه هذه القوى لتأخذ من برلماناتها و شعوبها حق التدخل مستغلة ما يُشاع عن فوضى يشهدها الجنوب الليبي و يزكيتها الإعلام بشقيه العربي و الغربي .

و هو ما يجرنا إلى الحديث عما يعتقد المتابعون أنه فوضى عارمة يشهدها الجنوب الليبي فقد ورد في تقرير نشرته صحيفة (لوس انجليس تايمز) كتبه

مراسلها من مدينة سبها عاصمة الجنوب ان مهمة الحفاظ على الامن "اوكلت الى رجال القبائل وجنودهم غير المدربين، وبدون اسلحة كافية".

و يضيف مراسل الصحيفة " على الرغم من ذلك فهُم دائماً على أهبة الاستعداد فالخطر الذي يخشى من دخوله هو المتطرفون الاسلاميون وهم يعرفون انهم في حالة اغمضوا اعينهم فالمتطرفون الاسلاميون سيدخلون ويتخذون من ليبيا قاعدة لهم ، ولن نسمح بهذا " بحسب كبير من قبيلة التبو.

كما يرى أحد المجندين أن الحكومة المركزية في طرابلس مقصرة معهم حيث قال انها " لم تدفع لنا رواتب منذ أربعة عشر شهرا ولم تدفع لنا حتى لشراء زي جديد او اصلاح القديم الذي نرتديه " ، كما يضيف أيضا " كل هذا والحكومة تطالبنا بالحفاظ على الحدود الطويلة والوعرة آمنة من المهاجرين غير الشرعيين الذين يعبرون الصحراء في طريقهم الى اوروبا عبر ليبيا " .

واضافةً الى ما تم تسجيله من وسائل إعلام مختلفة في الجنوب من انتشار المسلحين " الاسلاميين " في مناطق واسعة تمتد من تشاد ومالي والنيجر والجزائر

يختم التقرير بالإشارة ان النظام الجديد في ليبيا في المراحل الاولى لإنشاء جيش وطني تكون من مهامه حماية الحدود الليبية مع دول الصحراء ، إلا ان الأمر في الوقت الحالي يتعرض لمصاعب جمة لعل أهمها الاعتماد على القبائل المحلية التي تحمل الكثير من الحنق على الاهمال الطويل ، و التناحرات فيما بينها والمصالح المتضاربة ، وهو ما قد يؤدي الى غياب الامن والتأثير على مناطق حدودية مجاورة .

كما تحولت منطقة الجنوب الليبي الى معبر لتهريب الاسلحة الى صحراء سيناء والتي يصل بعضها الى غزة وفق متابعين ، ويظل هذا الأمر واحدا من أبرز الاهتمامات التي تشغل الاستراتيجيين و قادة عملية برخان و غيرها : وصول الاسلحة الثقيلة للمقاتلين في شمال مالي و مقاتلي بوكو حرام في الكامرون .

لكن يظهر أن الأمر قد تجاوز هذه المقاربة الأمنية الصرفة فقد نقلت "الأوبزرفر" عن مسؤول بالمجلس المحلي لسبها تصريحاً قال فيه ان "معظم الاسلحة الثقيلة التي استخدمت في شمال مالي نهبت من مخازن الاسلحة التابعة للنظام السابق" ، إلى ذلك يتطرق تقرير آخر إلى كون الصحراء في الجنوب الليبي ظلت على مدى السنوات الفارطة مصدراً للجهاديين الذين قاتلوا في جبهات متعددة حتى في عهد النظام السابق ، وفي الوقت الحالي يتطوع ابناؤها في الحرب الجارية في سورية وفي مالي ، ومما يقلق بال المسؤولين هي التقارير التي تحدثت عن مخازن للأسلحة ومعسكرات تدريب سرية في المنطقة جنوب سبها .

وفي الوقت الذي يردد فيه المسؤولون الرسميون من مناقشة مشاكل الجنوب والفوضى فيه إلا ان من يتجرأ على النقد يواجه مصيراً غير معروف فقد قُتل ناشط قبل فترة لأنه تجرأ على انتقاد الاوضاع الامنية وغياب النظام .

لا شك أن جزء من المشكلة نابع من الخلافات القبلية التي تم كبتها خلال اربعين عاماً من الحكم الشمولي وخرجت للعلن حيث سمحت لخلق وضع مشابه للوضع الذي نشأ في اليمن والصومال ، وأسباب نشأة ذلك الوضع في جنوب ليبيا الخلافات بين قبيلة التبو ذات الاصول الافريقية وقبيلة اولاد سليمان العربية وقد ادت المواجهات بين القبيلتين حسب مراسلين أجانب الى مقتل مئات الأشخاص مما

تعقدت عمليات احلال السلام بين القبيلتين بسبب زيادة نسبة البطالة وانتشار استخدام المخدرات والخمور ، والخلافات على طريق تهريب المواد الخطرة و الممنوعة والتي تمتد من الحدود الى الجزائر وتشاد .

والزائر لمدينة سبها لا يفوته مشاهدة الشباب والرجال جالسين امام المحلات او في الاماكن العامة بدون عمل ، كما ان صوت اطلاق العيار الناري أصبح طبيعياً ، و محاولات الهروب من السجن باستخدام السلاح تحدث بين الفترة و الاخرى وفق مراسل الأوبزرفر .

ما يحدث في جنوب ليبيا (كما أسلفنا) لا يهم دولة ليبيا فقط ، بل هو أمر يجلب اهتمام دول عدة ذكرنا بعضها وهو يهم أيضا تكتلاً أمنياً و اقتصادياً قوياً هو الاتحاد الأوربي فقد حذرت الممثلة العليا للأمن والسياسة الخارجية بالاتحاد الأوربي فريديريكا موغريني ، من خطر انفجار الوضع الأمني في ليبيا ، قائلة إنه سيكون "خطير للغاية بالنسبة لأوروبا" ، وأضافت في كلمة لها خلال مؤتمر الأمن الذي أقيم مؤخراً في ميونيخ " إن الوضع الأمني في ليبيا يهدد بالانفجار في كل لحظة والانفجار سيكون على أبواب أوروبا " مشيرة إلى أن ثمة مؤشرات بأن الأمر "خطير للغاية بالنسبة لنا وبالنسبة لأمن المنطقة" .

وحسب بعض المراقبين لتصريحات الفرنسيين وبعض الدول الغربية حول الخطر الجهادي في جنوب ليبيا مبالغاً بها ، لأن هذه المنطقة وحتى منذ فترة حكم القذافي (كما أشرنا) كانت منطقة صراعات قبلية ومنطقة تهريب يتنازع نفوذها أكثر من طرف .

كل ما حدث في الآونة الأخيرة حسب المتابعين مع فشل الحكومة الليبية الحالية هو زيادة حدة الصراعات في المنطقة لكن " هذا يجب ألا يدفع المجتمع الدولي للحديث عن حلول عسكرية من شأنها أن تزيد الطين بلة ". الأولى حسب عدد من الباحثين نذكر منهم الألماني " ولفرام لأكير " الذي دَعَت إلى " تقوية الدولة الليبية والابتعاد عن فكرة التدخل الأجنبي التي من شأنها أن تؤلب السكان المحليين ضد الدول الغربية وتدفعهم للتعاون مع المجموعات الجهادية " .

تزايدت التصريحات الفرنسية حول الجنوب الليبي خلال الفترة الماضية شكل مناهة اهتمام المراقبين ، فبعد تصريح وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لودريان حول وجود " قواعد محددة " لمن وصفهم بالإرهابيين جنوب البلاد ، جاء تصريح قائد الأركان الفرنسي أدوارد غيو الذي قال إن " عملية عسكرية جنوب ليبيا تعتبر خياراً مثالياً " .

ورغم أن الخارجية الفرنسية تنفي أي نية لشن عملية عسكرية إلا أن وزير الخارجية الفرنسي عـاد مؤخراً ليؤكد أن الوضع "صعب جداً" ومصدر قلق للفرنسيين والأمريكيين والإيطاليين والتونسيين والجزائريين ، ذلك أن فرنسا تعتبر منطقة الصحراء الكبرى منطقة مصالح خاصة بها ، وبعد سيطرتها على شمال مالي بحجة محاربة الإرهاب تسعى إلى " استكمال دائرة نفوذها " من خلال الوجود العسكري جنوب ليبيا خاصة وأنها منطقة غنية بمناجم كثيرة منها اليورانيوم ، الذي تعتمد عليه فرنسا بشكل كبير في إنتاج الطاقة النووية لتوليد الكهرباء التي تشغل أكثر من نصف طاقتها بمفاعلات نووية ، وهو ما ينبؤوا أن فرنسا تسعى إلى التدرع بحجج الإرهاب ومواجهة التيارات الإسلامية للحصول على موطن قدم في

ليبيا ، وهو ما سيمثل وفق متابعين مستنقعاً خطيراً لا يجب الانزلاق فيه لأن ما نجم عن عملية "برخان" التي تشنها فرنسا إلى حد الآن لا يعدو إلا أن يكون إنهماكاً للجماعات المسلحة و لم يصل إلى مرحلة القضاء عليها وهو عن ذلك بعيد حسب متابعين ، و ما انتقلها إلى الكاميرون و نقل مركز الثقل إلى هناك إلا دليل على ذلك .

لعل المسار الذي تسير فيه فرنسا شبيه بذلك الذي سارت فهي أمريكيا في أفغانستان و من قبلها روسيا في الشيشان من جهة ضعف المقاربة الشاملة لحل المشكلة و اقتصارها على الجانب الأمني .

وقد يكون للجانب الأمني تأثير على مصالح الدول الغربية وفق المتابعين لكنه ليس كل ما يعاينه الجنوب و الحل حسب خبراء في الأمن الشامل هو اعتماد مقاربة شاملة يتم فيه تركيز سلطان الدولة و تنمية المناطق الجنوبية و تمكينها من حظها في التنمية و الابتعاد عن السياسات الإعلامية الهادفة إلى خلق الفتنة بين أبناء الشعب الليبي .